- **(محاضرة 11) فقدان اللغة:**

- **إمكانية علاج الأعطاب الدماغية للغة:**

عندما نسمع كلمة ما تصل النبضات العصبية المتولدة في الأذن الداخلية إلى المنطقة السمعية في الدماغ عن طريق العصب السمعي، وبعد ذلك ترسل هذه النبضات عن طريق خلايا عصبية متخصصة إلى منطقة فيرنك حيث يتم فهم الكلام المسموع، وعندما يرتبط الكلام المسموع بتصور معين، فإن رسالة عصبية ترسل إلى منطقة التلفيفة الزاوية حيث يتم تحويل التصوّر إلى مثير بصري يمكن إدراكها في المنطقة البصرية، فإذا سمعنا كلمة تفاحة يعطي لنا الدماغ أقرب صورة مسجلة للتفاحة نتيجة التصور البصري في الدماغ الناتج عن السمع.[1]

أما عندما نريد أن نبدأ في عملية التحدث فإن الكلام يرسل من منطقة فيرنك عن طريق حزمة الألياف المقوسة إلى منطقة بروكا والتي بدورها تقوم بتحديد الشكل الحركي لهذا الكلام وبعد ذلك ترسل الرسائل من منطقة بروكا إلى المنطقة الحركية ليتم التنسيق والتحكم بشكل أعضاء النطق والجهاز الصوتي لإنتاج هذا الكلام الذي تم تجهيزه في منطقة فيرنيك.[2]

إذن؛ فخلل الإستقبال يتوقف على عطب في منطقة فيرنيك وخلل الإرسال اللغوي يتوقف على عطب في منطقة بروكا وأن المعالجة اللغوية هي عملية معقدة تشترك فيها عدة مناطق ومراكز في الدماغ فهي ليست مرتبطة بمنطقة معينة.

أما إمكانية العلاج لإهتزاز الخلايا الدماغية أو تلفها فممكنة، لأنّ من مميزات الدماغ أنّ له خاصية التعويض وهي أن تقوم مراكز بعمل مراكز أخرى تالفة فإذا كان هناك تلف بسيط في منطقة بروكا يستطيع المريض إستعادة المهارات اللغوية دون علاج، هذا النوع من الشفاء التلقائي عادة ما يحدث بعد نوع من السكتة الدماغية التي يتوقف فيها تدفق الدم إلى المخ مؤقتا، كما يحتاج معظم المصابيين للعلاج اللغوي لإعادة تأهيل مهاراتهم اللغوية واستكمال مهارات الاتصال الخاصة بهم وعمل تدريبات لأعضاء النطق والكلام وتحفيز مهارات الإستقبال والإرسال بالدماغ وتنشيط مراكز الدماغ فيستعيد عافيته، وقد أثبتت الدراسات أن المرضى الذين حصلوا على علاج تخاطبي تحسنت قدراتهم بشكل أسرع وأفضل من المرضى الذين لم يحصلوا على هذا التدخل.[3]

---

[1] انظر الرابط التالي:http://www.acofps.com، (اللغة بين منطقتي فيرنيك وبروكا):حسام فتوح عبد السلام شرارة، تاريخ الإقتباس:2015/08/14.

[2] انظر الرابط نفسه.

[3] انظر الرابط نفسه.

هناك دراسات أثبتت إمكانية تجديد خلايا الدماغ عن طريق الرياضة ونظام الغذاء، أما عن طريق الرياضة، ففي دراسة تمّت على 120 شخص أعمارهم من 60 إلى 80 عام؛ وُجد أن ممارسة الرياضة لمدة 30 إلى 40 دقيقة في اليوم، ثلاث أيام في الأسبوع، لها تأثير على تجديد الخلايا في المناطق المسؤولة عن الذاكرة والإدراك في الدماغ، وذلك أن الرياضة تزيد من إفراز عوامل عصبية في الدماغ لها دور في حماية الدماغ من الإصابات والأمراض، وكما أنها تقلّل من الضغوطات النفسية والتي لها دور سلبي في تقليص المنطقة المسؤولة عن التعلم والذاكرة في الدماغ إلى غير ذلك، وكما أنها تساهم في بناء خلايا دماغية جديدة، أما على مستوى الغذاء فلا أحد يشك في فاعليته، فنوعية الغذاء الجيّد له دور كبير في تحفيز الخلايا وإثارتها لتقوم بمهامه الموكلة بها.[1]

إنّ علم اللغة النفسي يقرر أهمية الثراء اللغوي لتوطيد الشبكات العصبية بين أجزاء الدماغ، أو فصيه الأيمن والأيسر، وكذلك يبرز أهمية الفص الأيسر في عملية "إنتاج" و"فهم" اللغة، أي أن فمنطقة "بروكا"، تعزز إنتاج الكلام، ومنطقة "فرنيك"، تعزز فهم الكلام، غير أنّ وحصول عطب لأحدهما يسبب فقدان نوع معين من أنواع الكلمة الثلاثة:(اسم، فعل، حرف)، فالعطب في منطقة بروكا، يسبب فقدان كبير للأحرف! "والحرف على المشهور في حده هو ما دل على معنى في غيره."[2]

فتنعدم العلاقات المنطقية بين كلمات المتحدّث، والعطب في منطقة فرنيك، يسبب فقدان كبير للأسماء والأفعال! "والاسم على المشهور في حده مادل على معنى في نفسه مجرداً عن دلالته على زمن من الأزمنة الثلاثة، وأما الفعل فيشترك مع الاسم ويخالفه في الدلالة على زمن معين من الأزمنة الثلاثة."[3]

غير أنه يبقى حديث المتحدث مشحونا بأحرف تدل على معان مقدرة لا وجود لها إلا في ذهنه، ولكن الشيء الجميل المتعلق بهذا الموضوع هو أن نوع المادة "المقروءة" ونوع "التركيب" المعبر عن هذه المادة يزيد ويعزز الأعصاب الشعرية بين المنطقتين خاصة، وسائر المناطق عامة، فيسبب ذلك جودة عالية في سرعة الاستحضار والفهم.[4]

---

[1] انظر الرابط التالي: http://www.fitnessyard.com، تجديد خلايا الدماغ حقيقة أم خرافة ؟ تاريخ الإقتباس:2015/08/22.

[2] هذا هو الحدّ المشهور لمعنى الحرف في الإصطلاح عند جمهور النحاة، وهذا التعريف أثبته ابن الوراق (ت: 381هـ) في كتابه علل النحو، والزمخشري (ت:538هـ) في مفصله، وابن هشام في شذوره (ت:761هـ)، والسيوطي (ت:911هـ) في همعه...الخ.

[3] هذا التعريف لابن هشام، انظر:شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، ص:18.

[4] انظر: الرابط التالي:http://vb.tafsir.net (ماهي أسرار التراكيب النحوية والتآليف الصوتية على الحالة النفسية لقارئ القرآن): لعبد الله الشهري. تاريخ الإقتباس:2015/08/12.

إذن؛ فالقرآن عند من أدمن قراءته وتدبر معانيه له أثر نافع على المستوى العضوي، في اختصار زمن الاستحضار وتقليل النسيان ليس فقط لآيات القرآن وإنما لأي معلومة أخرى، وهذا بسبب الأجزاء المخصصة لأنواع الكلمة في الدماغ، ووصف القرآن بأنه "متشابه" وأنه "مثاني"[1] في قوله تعالى قال تعالى:"**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ**"، (الزمر:23). هو في غاية الأهمية لما يترتب عليه من تكييف الآيات على هيئة لغوية معينة تفي بهاتين الصفتين ومن ثم انسحاب ذلك على أسلوب التفكير والمعالجة في الدماغ، بمعنى أنّ قراءة القرآن الكريم بكونه "متشابها" وأنه "مثاني"، لها أهمية كبيرة على المراكز اللغوية في الدماغ وما يستتبع ذلك من أثر على النفس وعمليات التفكير.[2]

هناك مدرسة تسمى بالمدرسة "الاتصالية"، أي "الاتصال العصبي" وهي من قولهم (connectionist) وهي تركز على أهمية نشوء شبكة ثرية ومتقاطعة من الأعصاب الدماغية، وترى الدرسات في هذا المجال أنه يمكن أن يحدث ذلك بكثرة القراءة الواعية والاستماع الواعي للغة من حولنا، ثم تشير إلى أن هذا يساعد على تقوية الذاكرة بقوة الاسترجاع (recollect)، ويساعد على تنمية "البرنامج التشابهي" في العقل.[3]

وهذا البرنامج التشابهي مهم جداً في عملية التدبّر العقلي، فهو مهم في كشف الروابط المنطقية بين المعاني واستظهار الترابط بين المفاهيم العميقة للدلالات المختلفة. فلما كان القرآن "متشابهاً" أي يشهد بعضه لبعض وتأتي آياته متشابهة من موضع لآخر، ولما كانت آياته "مثاني" أي تثنى فيه المعاني إما بالترادف أو ذكر الأضداد، من موضع لآخر، كان هذا من أعظم ما ينمي هذا البرنامج العقلي التشابهي، وبسببه يحصل التدبر والاستنتاج، كما أنه مهم جداً في استخراج المواعظ عن طريق القياس، ولولا اتصاف القرآن بهاتين الصفتين، لتعذر استفادة هذا الأسلوب من التفكير من آياته.[4]

وقد أشار العلماء إلى أن التشابه بين كثير من آيات القرآن ليس عبثاً بل هو من أعظم ما يؤدي إلى حسن التدبر، لماذا ؟ كيف يكون التشابه مفيداً ونحن نعلم أن التشابه لا يعني شيئا أكثر من التكرار ؟

---

[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لموا ملة فقالوا له: حدثنا فنزلت هذه الآية، والحديث ما يحدث به المحدث، وسمي القرآن حديثا، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث به أصحابه وقومه، وهو كقوله:" فبأي حديث بعده يؤمنون" (المرسلات:50).

- معنى "**متشابها**" يشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف.
- ومعنى"**مثاني**" تثنى فيه القصص والمواعظ والأحكام وثني للتلاوة فلا يمل". انظر:تفسير القرطبي، ج15، ص:248، 249.

[2] انظر الرابط التالي:http://vb.tafsir.net ماهي أسرار التراكيب النحوية والتآليف الصوتية على الحالة النفسية لقارئ القرآن: لعبد الله الشهري. تاريخ الإقتباس:2015/08/12.

[3] انظر الرابط نفسه.

[4] انظر الرابط نفسه.

أشار علماء التفسير إلى أن التشابه يغري العقل بالبحث عن الفروقات الدقيقة بين الآيات المتشابهات، والمتأمل لكتاب:"ملاك التأويل" **لابن الزبير الغرناطي**(ت:708هـ)[1]، يعرف صحّة هذا الطرح، وهو من أحسن التفاسير التي عالجت الفروقات اللغوية بين الكلمات والأساليب.[2]

وذلك أنه لابد من نسبة فرق بين الآيات المتشابهات تعطي كل آية معنى خاصا تتميز به، فيظهر بذلك معان مدفونة وأسرار بديعة، وبهذا النوع من التدبر والتمعن تتضافر الأعصاب الدماغية في اتصال مكثّف، لما يترتب على قراءة آيات القرآن المتصفة بالصفات المذكورة من تحفيز على إدراك التشابه من جهة وملاحظة الفروقات اللطيفة فيما بينها من جهة أخرى.[3]

فالمقصود أن كون القرآن متشابه ومثاني له ارتباط وثيق بتحفيز التفكير المنطقي الكامن في الفص الأيسر من الدماغ بشكل خاص، لما يترتب عليه من مقارنة الأضداد وكشف الفروقات اللطيفة بين الآيات المتشابهات. ولغة القرآن في هذا الجانب لا يدانيها شيء البتة.[4]

---

[1] ابن الزبير الغرناطي يعد من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، انتهت إليه الرياسة في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول.

[2] من نماذج هذا الكتاب معالجته الفرق بين قوله تعالى:"وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ"، (التكوير:6) وقوله تعالى:"وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ"، (الإنفطار:3)، يسأل عن اختصاص الأولى بقوله:"سجرت" والثانية بقوله "فجرت"؟ والجواب عن ذلك:

- أن قوله: "سجرت" معناه ملئت، من قولك سجرت التنور إذا ملائته بالحطب، وقرئ مخففاً ومثقلاً والمعنى واحد، والمراد اجتماع مياهها ؛
- وأما قوله: "فجرت" فتح بعضها واختلط العذب بالمالح فصار بحراً واحداً بزوال البرزخ الحاجز بينهما، وكل من الإخبارين يؤدي معنى غير المعنى الآخر، فإن الامتلاء غير الانفجار، ثم كل من الإخبارين، مناط بالآخر لما بينهما من الشبه.

وإنما خصت سورة الإنفطار بلفظ الإنفجار ليناسب مطلع السورة وافتتاحها، ألا ترى في انفجار العذب إلى المالح والمالح إلى العذب وبعضها إلى بعض انفطار ناسب انشقاق السماء وانفطارها، فانفطار السماء، وانفجار البحار، وبعثرة القبور، وانتشار النجوم، كل ذلك متناسب أوضح تناسب وأبينه. وحشر الوحوش وتزويج النفوس، وتسجير البحار، هذا كله اجتماع وائتلاف يناسب بعضه بعضاً، كما أن انفطار السماء، وانتثار الكوكب، وتفجر البحار، وبعثرة القبور، يناسب بعض ذلك بعضاً، فالتحام هذه الجمل في السورتين أبين التحام وأوضحه ملاءمة وتناسباً. فورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب. انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: لابن الزبير الغرناطي (ت:708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج2، ص:503، 504.

[3] موضوع الفروق قضية مهمة وهي محط أنظار علماء النفس والاجتماع وخبراء التعليم وعندهم قاعدة معروفة وهي أن أجودالناس تعلّماً أكثرهم قدرة على ملاحظة الفروق. وقد نبه إلى ذلك الأئمة كشيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم بعبارتهم المشهورة:" الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات." انظر ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com

[4] انظر الرابط التالي:http://vb.tafsir.net ماهي أسرار التراكيب النحوية والتآليف الصوتية على الحالة النفسية لقارئ القرآن: لعبد الله الشهري. تاريخ الإقتباس:2015/08/12.

ولعل فكرة فيلسوف التفكيك الفرنسي **جاك دريدا** (1930-2004) تقترب نوعا ما من هذا الطرح، وذلك عندما يرى أن" فكرة الاختلاف في كونه هو الذي يصنع اللغة، فالمعنى اللغوي هو دائما نتيجة اختلاف لفظة مع أخرى، وهو ليس معنى ثابتا قائما، بل هو دائما مؤجل بسبب انزلاق الدال تحت المدلول عليه وبسبب علاقتهما غير المستقرة".[1]

وأخيرا يرى **عبد الله الشهري** أن هناك نوعين من التأثر بالقرآن:

- الأول: التأثر اللغوي بالقرآن، وهو استيحاء اللغة من عربية القرآن الكريم تلاه وتدبره ؛
- أما التأثر الثاني: هو التأثر النفسي بالقرآن، وهو على ضربين: التأثر النفسي الفكري، والتأثر النفسي العاطفي، بشرط الفقه اللغوي لكي يستطيع فهم مدلولات الجمل والتراكيب والأساليب.

إنّ لعلم اللغة النفسي له مساهمة في تفسير شيء من هذه العملية، ومن هذه التفاسير انعدام الدافعية الجاذبة (motivation)وانعدمها يسمى اللادافعية (amotivation) وهذا متعلق بما يسمى المرشحات الشعورية affective) (filters وصاحب المفهوم الأخير عالم اللغويات "**كراشن**". والفرضية الأخيرة تشير إلى أن مجموع إرادات الإنسان ونواياه وخبراته تساهم في فهم الدلالات اللغوية على صورة معينة، بسبب ما يصنعه ذلك من "حُجُب" مترادفة، منها ما يسمح بالمعنى الصحيح بالنفاذ إلى النفس ومنها ما يشوّه المعنى الصحيح فيدخل مشوهاً ومنها ما يصُد المعنى الصحيح فلا يدخل البتة ومنها وهو أسوأها، ما لا يسمح إلا للمعاني الخاطئة بالدخول، ولذلك تختلف "الدوافع" نحو الاستفادة من دلالات ألفاظ القرآن على مستويين: مستوى الاستفادة اللغوية (على مستوى جزالة ألفاظ لا التفاعل مع معانيها) ومستوى الاستفادة النفسية، وكل هذا بدوره وثيق الصلة بما نسميه "الفقه السمعي"[2] وهو جانب الاستفادة الشعورية والفكرية من دلالات اللغة، وفقه المعاني.[3]

---

[1] انظر: عنف اللغة، جان لوسركل، ترجمة: د، محمد بدوي، مراجعة:د، سعد مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص:15.

[2] وقفة مع أهمية الفقه السمعي يقول تعالى:"ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون" (يونس:42) في هذه الآية فوائد جمة منها: أن السمع أفضل من البصر، فالله تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر. وأن الإنسان إنما يستفيد العلم بالتعلم من الأستاذ، وذلك لا يمكن إلا بقوة السمع، فاستكمال النفس بالكمالات العلمية لا يحصل إلا بقوة السمع، ولا يتوقف على قوة البصر، فكان السمع أفضل من البصر، قال تعالى:"إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" (ق:37)، والمراد من القلب هاهنا العقل، فجعل السمع قرينا للعقل. انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، ج17، ص:257، 258.

[3] انظر الرابط التالي:http://vb.tafsir.net ماهي أسرار التراكيب النحوية والتآليف الصوتية على الحالة النفسية لقارئ القرآن: لعبد الله الشهري. تاريخ الإقتباس:2015/08/12.